# منظمة التحرير الفلسطينية في السياسة السوفياتية

د. نبيل حيدري

شهدت المرحلة الاخيرة تطوراً هاماً في السياسة السوفياتية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية[١]. ويمكن القول ان موسكو قد بادرت، ومنذ ربيع السنة السالفة بصورة أوضح، إلى القيام بحملة تقارب حثيثة، بعد فترة من الفتور مع المنظمة، التي تعترف بها، على الاقل، منذ العام ١٩٧٤، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، وكفاعل اقليمي هام في شؤون المنطقة. واذا كانت لكل من هذين المستويين عوامل جذب بديهية، فإنه، في المقابل، من الصعب القول ان مبادرات موسكو ظلت دون صدى داخل أطر المنظمة، على الرغم من ان ردة الفعل تبدو، حتى الآن، أضعف مما توقعه السوفيات.

تتألف هذه الدراسة من أربعة أقسام متعاقبة، متمسكة، على نحو ما، بالطابع التاريخي، مما قد يفسّر امكانات تطور الوضع القائم بين دولة عظمى ازداد نفوذها الدولي بشكل كبير، وبين فاعل ليس دولة بل حركة تحرر منظمة، تلعب دوراً ذا شأن على الساحة العربية. ولذلك، سوف نستعرض تاريخ العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية، وفق مسار ذي طابع كرونولوجي، مما يسمح بتسليط الضوء على مراحل متميزة في تاريخ تلك العلاقات، التي تذبذبت بين الفتور والازدهار، بين الشك والثقة، بين التباعد والتقارب.

## اولاً: التردد (١٩٦٤ ـ ١٩٧٤)

لم يكن هناك رد فعل سوفياتي على اقامة م.ت.ف. في العام ١٩٦٤؛ ولم تجر موسكو، حينئذٍ، أي تعديل يذكر في موقفها السابق من النظر الى القضية الفلسطينية، القائم على اعتبارها «قضية لاجئين». لكن ظهر بعض التعديل الهامشي لهذا الموقف، بشكل تدريجي، حين قام الزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف، في العام ذاته، بزيارة مصر. ففي اثناء الزيارة اعترف بالحقوق المشروعة والثابتة للشعب الفلسطيني، دون ان يعني ذلك الاعتراف بحقه في اقامة دولته المستقلة[٢]. وحين ازدادت النشاطات العسكرية الفدائية الفلسطينية داخل اسرائيل، شن الاتحاد السوفياتي حملة لادانة العمل المسلح، مخافة حصول مواجهة مع الولايات المتحدة الاميركية، اذا ما اندلعت حرب عربية ـ اسرائيلية في المنطقة[٣]؛ لكنه نشط على جبهة أخرى، متتبعاً سير النزاع العربي ـ الاسرائيلي عن كثب بغية تحقيق بعض النفوذ لدى الحكومات العربية، عندما تسنح الفرصة.

وبعد انقلاب شباط ( فبراير ) ١٩٦٦ في سوريا، بذل الاتحاد السوفياتي جهوداً حثيثة لتمتين علاقاته مع السلطة الجديدة. وكان يدفعه إلى ذلك، على ما يبدو، سببان رئيسان: الاول، ان سوريا كانت تشكل، بانفتاحها على البحر المتوسط وقربها من البحر الاسود، مركز مواصلات بالغ